الكتاب رقم
(١٠)

موسوعة تعظيم علّام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

# الرّجاء

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن التميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين



موسوعة:

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم (١٠)

# الرّجاء

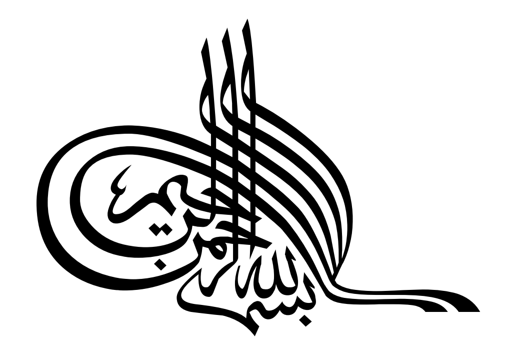
تأليف

**إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي**

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين











# فهرس المحتويات








# مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا يليق بجميل فضله وعميم جوده وسابغ إحسانه، والصلاة والسلام والبركة على خيرته من خلقه ومصطفاه من عباده وخليله وكليمه نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

أما بعد: فالرجاء باب واسع جميل، طيّب الذكر، مستلذُّ المعاني، مستملح المباني، قد أقام الله تعالى دينه على ما فطر عباده عليه من الرغبة إليه فيما لديه، ورجائه والازدلاف إليه، فالدينُ مبنيّ على معاني غيبٍ وموعدِ غيبٍ لم نره حسًّا، لكن قد رأيناه يقينًا بقلوبنا وعلومنا وأفهامنا. وهل ينتظر المؤمنون سوى رضوان الله وجنته! - ورؤيته من جَنّته - فالدينُ رجاءٌ كلّه. وهذا الكتاب في بيان ما يحتاجه المؤمن زادًا لقلبه في طريقه إلى الله والدار الآخرة مما يسّر الله تعالى رقمه وتحريره، سائله سبحانه وبحمده لي وللقارئ ولوالدينا وأحبابنا والمسلمين فضله وعفوه ورِفدَه ورضاه والجنة، إنه سميع قريب.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٥/ ٦/ ١٤٣٨

aldumaiji@gmail.com






# التعريف

الرجاء والأمل والرغبة حداةٌ يحدون المؤمن في سيره إلى ربه تعالى، فالرجاء وقود المسير، فإذا رأى المؤمن أعلام الآخرة بعيني بصيرته سارع وسابق وقصر عليه الطريق، وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

والرجاء ظنّ حصول ما فيه مسرّة. والراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على الأمل - وهو مرادنا بهذا الباب - والآخر على ناحية الشيء. فالرَّجا: الناحية من البئر، وكل ناحية رجًا، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]، فالجمع أرجاء، والمثنى رجوان.

فالرجاء هو الأمل وترك الهمز لغة. يقال: رجوتُ الأمر أرجوهُ رجاءً. ثم يتسع في ذلك فربما عُبِّر عن الخوف بالرجاء، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي: لا تخافون له عظمة، وقيدها الأزهري بأن يأتي معه حرف نفي. وقال الفراء: ولم نجد معنى الخوف يكون رجاءً إلا ومعه جحد، كقول الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] أي لا يخافون أيام الله، ولا يجوز رجوتك، وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأن تريد رجوتك.

وناسٌ تقول: ما أرجو. أي: ما أبالي، وفسروا الآية على هذا. وذكروا قول أبي ذؤيب الهذلي:



إذا لَسَعَتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لَسْعَها     وخالَفَها في بيت نُوبٍ عَوَامِلِ

قالوا: معناه لم يكترث. ويقال للفرس إذا دنا نتاجها: قد أَرْجَتْ تُرْجِي إرجاءً، قال الشيباني: أرجأت.

وأما المهموز فيدل على التأخير، يقال: أرجأتُ الشيء: أخّرته، قال الله جل ثناؤه: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وقرئ: مرجئون لأمر الله. وقرئ: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الشعراء: ٣٦] «أرجئه وأخاه». ومنه سميت المرجئة؛ لأنهم أرجأوا العمل، أي أخّروه عن مسمّى الإيمان.

وقال الليث: الرجاء ممدود، وهو نقيض اليأس، والفعل منه: رجا يرجو، ورجيَ يَرْجا، وارتجى يرتجي، وترجّى يترجّى، قال: ومن قال: فعلت ذاك رَجَاةَ كذا فهو خطأ، إنما يقال: رجاءَ كذا[1].

❁❁❁❁

(١) معجم المقاييس (٤٢٣، ٤٢٤)، معجم التهذيب (٢/ ١٣٦١، ١٣٦٢)، اللسان (٤/ ٦٧)، المفردات (١٩٤)، القاموس (٦٤٧).

# الرجاء الصادق والفرق بينه وبين التمني

«الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه؛ فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظارًا مع انخرام أسبابه واضطرابها؛ فاسم الغرور عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود، ولا معلومة الانتفاء؛ فاسم التمنّي أصدق علىٰ انتظاره؛ لأنه انتظار من غير سبب»(١).

«ولا يُطلق اسم الرجاء والخوف إلا مع التردد، أما مع القطع فلا. فلا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها؛ لأن ذلك مقطوع به. ويقال: أرجو نزول المطر، وأخاف انقطاعه.

وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الآبار وسياقة الماء إليها، والقلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحدٌ إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلّما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا تنمو بذرة في أرض سبخة.

---

(١) الإحياء (٢/ ١٤٣٢).

فينبغي أن يُقاس رجاءُ العبد المغفرة والرحمة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضًا طيبة، وألقى فيها بذرًا جيدًا غير عفن ولا مسوّس، ثم أمدّه بما يحتاج إليه من سوق الماء في أوقاته، وإزالة الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات الأرض أو يفسده ونحو ذلك، ثم جلس منتظرًا فضل الله تعالى من دفع الآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سُمِّي انتظاره رجاء.

وإن بثّ البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة، لا ينصبّ إليها الماء، ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد منه، سُمّي انتظاره غرورًا لا رجاء.

وإن بثّ البذر في أرض طيبة، ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب مياه الأمطار، وكانت في غير مواسمها، ولا تمتنع، سُمّي انتظاره تمنيًّا لا رجاءً.

فإذًا اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب عهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات ثم تلطفه بالقبول وفوق ذلك كله رحمته وغفرانه.

والعبد إذا بثّ بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية بفضل الله إلى المغفرة، وكان انتظاره رجاءً حقيقيًا باعثًا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان وفي إتمام أسباب المغفرة إلى الموت. وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب الدنيا ثم انتظر المغفرة؛ فانتظاره غرور، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ






بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وذمّ الله سبحانه صاحب البستان إذا دخل جنته وقال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِۦ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

فإذن العبدُ المجتهد في الطاعات، المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة. وأما المعاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط فيه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة، وأما قبل التوبة إذا كان كارهًا للمعصية، تسوءه السيئة وتسره الحسنة، وهو يذم نفسه ويلومها، ويشتهي التوبة ويشتاق إليها؛ فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة؛ لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكّد الأسباب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] أي أولئك يستحقون أن يرجون رحمة الله، وليس معنى ذلك تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضًا قد يرجوه، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء. وأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى، ولا يذم نفسه عليه، ولا يقوم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة غرور كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على ألا يتعهده بسقي ولا تنقية.

قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء



العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله من غير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع التفريط.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالِكَها إن السفينة لا تجري على اليبسِ

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنّته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلمُ بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان. فإن مَنْ حَسُنَ بذره، وطابت أرضُه، وغزُر ماؤه؛ صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقّد الأرض وتعهّدها، وتنحية كل حشيش ينبت فيها، فلا يفتر عن تعهّدها أصلًا إلى وقت الحصاد. وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس، واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف أن الأرض سبخة، وأن الماء معوز، وأن البذر لا ينبت؛ فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها، والرجاء محمود لأنه باعث، واليأس مذموم لأنه ضدّه وهو صارف عن العمل. والخوف ليس بضدٍ للرجاء بل هو رفيق له، فهو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة.

فإذن طول الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال.

ومن آثار الرجاء: التلذذ بدوام الإقبال على الله، والتنعم بمناجاته، والتلطف بالتملق له، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرجو مَلِكًا من الملوك أو شخصًا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى؟



فإذا كان لا يظهر فليستدل به على مقام الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني»[١].

إذن فالتمني يكون مع الكسل، فلا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، أما الرجاء فيكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

«والرجاء حادٍ يحدو القلب إلىٰ بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيِّبُ لها السير.

وهو استبشار بجود وفضل الله تبارك وتعالى، وارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وهو ثقة بجود الرب تعالى.

ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصحّ إلا مع العمل.

قال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء؛ حسن الطاعة. فالرجاء ثلاثة أنواع، نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، وقد يجتمعان.

والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل. فهذا ليس برجاء في الحقيقة بل هو محض غرور وتمني.

---

(١) الإحياء (٢/ ١٤٣١-١٤٣٣) بتصرف.






وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله؛ يفتح عليه باب الخوف، ونظرٌ إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره، يفتح عليه باب الرجاء. ولهذا قيل في حدّ الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقصود من الرجاء: أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها. وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور. وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف ألا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو»[٢].

---

(١) المدارج (٢/ ٢١٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٠١).









# الرجاء والخوف والمحبة

«قال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوىٰ الطير وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حكم الموت. وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء ارتياح القلوب لكرم المرجو. وقال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا. وروي أن لقمان قال لابنه: يا بني خف الله خوفًا لا تأمن فيه مكره، وارجه رجاءً أشد من خوفك»[(١)].

وقال الغزالي: «إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقامٍ محمود، ومطيتان بهما يُقطع من طرُق الآخرة كل عقبةٍ كؤود»[(٢)].

أما ابن القيم فقد أضاف لهذا الطائر رأسًا هو المحبة.

«وسئل أحمد بن عاصم: ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر، راجيًا لتمام النعمة عليه من الله في الدنيا والآخرة، وتمام عفوه عنه في الآخرة.

واختلفوا، أي الرجاءين أكمل: رجاء المحسن ثواب إحسانه، أو رجاء المسيء التائب مغفرة ربه وعفوه؟

---

(١) عوارف المعارف (٢١٤٠).

(٢) الإحياء (١/ ١٤٢).



فرجحت طائفة رجاء المحسن لقوّة أسباب الرجاء معه. وطائفة رجحت رجاء المذنب؛ لأنه رجاء مجرّد عن علّة رؤية العمل، مقرون بذلة رؤية الذنب»[١].

قلت: إنما المعوّل صدق الرجاء وما يصاحبه من حسن ظن بالله وسوء ظن بنفسه، مع بذل الجهد في إحسانه وتكميله. وإن كان الإخلاص في ترك الذنب أسهل منه في العمل الصالح المستأنف.

وقال يحيى بن معاذ: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال؛ لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أصفّيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف؟ وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف[٢]؟

---

(١) المدارج (٢/ ٢١٨، ٢١٩).

(٢) وفي المدارج علّق ابن القيم رحمه الله على شطحة للهروي رحمه الله في منزلة الرجاء حيث تكلّم بكلام مفاده الزهد في الرجاء وأنه أضعف المنازل ونحو ذلك. فقال ابن القيم: «شيخ الإسلام - أي الهروي - حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم نبيّن ما فيه. ثم بين وجه كلامه وحمله على أحسن المحامل ثم قال: هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق وصحة المعاملة، وقوّة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ.

وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

=




=

إحداهما: حُجبت بها عن محاسن هذه الطائفة - أي المتصوّفة - ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقًا، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأهدرت محاسنه؛ لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت مصالحها. (قلت: ولا يدخل في هؤلاء من أشرك شركًا أكبر فوقع في بدع مكفرة، كدعاء غير الله).

الثانية: حُجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء نفوسهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها؛ فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم. وهؤلاء أيضًا معتدون مفرّطون.

والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقّه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد».

قلت: والكمال إنما هو في اتباع سلف الأمة والصحابة ومن تبعهم بإحسان، فإنما تحمد الطائفة أو تذم بقدر قربها وبعدها عن هذا المعيار النبوي، فالاتّباع توفيق، والإحداث خذلان.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذّر منها سادات القوم وذمّوا عاقبتها، حتى ذكر أبو القاسم القشيري في رسالته أن أبا سليمان الداراني رؤي بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وما كان شيء أضرّ علي من إشارات القوم. وذكر عن الجريري أنه رأى الجنيد في المنام بعد موته، فقال: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات.

=



وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقول الله تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]: «يقرر الله هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن، ليبقى العبد بين الرجاء والخوف»(١).

«وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فالخشية أبدًا متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطًا، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله. وقد روي عن أبي حيان التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: العلماء ثلاثة؛ فعالم بالله ليس عالمًا بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالمًا بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله، فالعالم بالله هو الذي يخافه، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه، وفي الصحيح(٢)

=

وقال أبو سليمان الداراني: تُعرض علي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل: الكتاب والسنة. وقال الجنيد: مذهبنا مقيّد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث؛ لا يُقتدى به في طريقنا». المدارج (٢/ ٢٢٠-٢٢٥) باختصار.

قلت: وتأمل حال هذين الجليلين، واجتهادهما في العبادة، وإشهارهما لاشتراط الكتاب والسنة في طريقتهما، ثم تأمل جوابهما في المنام لمن سألهما عن حالهما، والرؤيا المنامية ليست بدليل عندنا إنما هي تسر المؤمن ولا تغرّه، وهي بشارة ونذارة وبقيّة نبوّة إذا صدق الرائي ووفّق المعبِّر.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٧).

(٢) البخاري (٢٠) مسلم (١١٠٩).







عن النبي ﷺ أنه قال: «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده**»(١).

«فالخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف عند المؤمن، لأن كل خائف راجٍ، وكل راجٍ خائفٌ، ولهذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف كما قال ربنا تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون لله عظمة. فكلّ راجٍ خائف من فوات مرجوّه، فانظر إلى التداخل العجيب بين مقامات الإيمان في قلب المؤمن. والخوف بلا رجاء: يأس وقنوط. وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يخافون وقائع الله بهم كما وقعت في الأمم الذين من قبلهم من التدمير والإهلاك»(٢).

«وعلىٰ حسب قوّة المحبة يكون الرجاء، فكل محب خائف بالضرورة، فهو أرجىٰ ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه، فإنه يخاف سقوطه من عينه، وطرد محبوبه له، وإبعاده واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوفٍ، ورجاؤه ذاتي للمحبة، فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه، فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له لما يحصل له به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبرّه وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضا، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/ ٢١، ٢٢).

(٢) سلسلة أعمال القلوب، المنجد (٧٥).







حياة للمحب ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه، فرجاؤه أعظم رجاء وأجلّه وأتمه.

فتأمل هذا الموضع حق التأمل، يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة، فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة، بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علّة، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير؟ وبينهما كما بين حاليهما»[١].

❁❁❁❁

(١) المدارج (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).



# فضل الرجاء ومنزلته

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكَرَ الله تعالى مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناء الإيمان: الحب، والخوف، والرجاء. وقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وفي صحيح مسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بربه**»(١)، وفي الصحيح عنه ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»(٢).

فالرجاء من أجلّ منازل السائرين إلى الله تعالى، وأعلاها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله تعالى، وقد مدح الله أهله وأثنى عليهم فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) مسلم (٢٨٧٧).

(٢) أحمد (٣/ ٤٩١) وأصله في الصحيحين.

وفي الحديث الإلهي الصحيح عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»**(١)، وقال ﷺ: **«يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليَّ شبرًا، اقتربت منه ذراعًا، وإن اقترب إليّ ذراعًا، اقتربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة»**(٢).

«وقد أخبر تعالى عن خواصّ عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقرّبون بهم إلى الله تعالى؛ أنهم كانوا راجين له خائفين منه، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي، يتقربون إليّ بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعونهم من دوني؟! فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء.

والرجاء عبودية لله تعالى، وتعلق به من حيث اسمه: المحسن البَرُّ. فذلك التعلّق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله؛ هو الذي أوجب للعبد الرجاء من

(١) الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٦): حسن لغيره.

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٥٠٢)، مسلم (٢٦٧٥).



حيث يدري، ومن حيث لا يدري، فقوّة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه.

ولولا رَوْحُ الرجاء؛ لعُطِّلَتْ عبودية القلب والجوارح، وهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، بل لولا رَوْحُ الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

| | |
|---|---|
| لولا التعلّق بالرجاء تقطّعت | نفسُ المحبّ تحسّرًا وتمزّقًا |
| وكذاك لولا بردُه بحرارة | الأكباد ذابت بالحجاب تحرّقًا |
| أيكون قطّ حليف حُبّ لا يُرَى | برجائه لحبيبه متعلّقًا |
| أم كلّما قويت محبتُه له | قوي الرجاءُ فزاد فيه تشوّقًا |
| لولا الرجا يحدوا المطيَّ لما سرت | بحمولها لديارهم ترجو اللّقا |

وبالجملة؛ فالرجاء ضروري للمؤمن، ولو فارقه لحظة لتلف أو كاد، فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها. ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها، فالرجاء من أعظم المنازل في السير إلى الله تعالى.

والراجي راغب راهب، مؤمل لفضل ربه وحسن الظن به، متعلق الأمل ببرّه وجوده، عابد له بأسمائه؛ المحسن، البر، المعطي، الحليم، الغفور، الجواد، الوهاب، الرزاق، والله سبحانه يحب من عبده أن يرجوه، ولذلك كان عند رجاء



العبد له، وظنه به.

والرجاء من أعظم الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من ربه، بل هو من أقوى الأسباب، والرب تبارك وتعالى ليس له ثأر عند عبده فيدركه بعقوبته، ولا يتشفّى بعقابه، ولا يزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة، لا ينقص مغفرته، ولو غفر لأهل الأرض كلهم لما نقص مثقال ذرة من ملكه، كيف، والرحمة أوسع من العقوبة، وأسبق من الغضب، وأغلب له؟ وهو قد كتب على نفسه الرحمة. فرجاء العبد لا ينقص شيئًا من حكمته، ولا ينقص ذرّة من ملكه، ولا يخرجه عن كمال تصرفه، ولا يوجب خلاف كماله، ولا تعطيل أوصافه وأسمائه، ولولا أن العبد هو الذي سدّ على نفسه طرق الخيرات، وأغلق دونها أبواب الرحمة بسوء اختياره لنفسه؛ لكان ربه له فوق رجائه وفوق أمله.

وقوّة رجاء العبد توجب له الاستسلام لربه والانقياد له والانطراح ببابه، ولا يتصوّر هذا بدون رجاء البتة، فالرجاء حياة الطلب، والإرادة روحها»[(١)].

وتأمل رعاك الله هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، وهذا العرض لصفتهم متضمن لإجابتها برحمة الله، وقال جل شأنه في أعظم آية في شأن أهل القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، فهل من مشمر؟!

---

(١) المدارج (٢/ ٢٢٧-٢٤٠) باختصار.

وقال سبحانه وبحمده في شأن أهل الليل والإدلاج: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩] وما أجمل رجاء أهل الأسحار!

وقال الغفور الرحيم سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه الآية هي أرجى آية في كتاب الله تعالى، وتحتها من المعاني الرجائية ما يفوق الوصف ويربو على الحصر، فتأمل نداءه سبحانه عباده ووصفهم بالعبودية، فمهما جنوا على أنفسهم فهم عبيده وهو ربهم ومولاهم، ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي غرقوا في لجج الذنوب وبحار المعاصي، فاقترفوا الكبائر بإسراف، فيأتيهم النداء الرحماني: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾، الله أكبر ولله الحمد، فبعد وصفهم بالإسراف. وهو تجاوز الحد. أرشدهم لحسن الظن بمولاهم، وألا ييأسوا من رحمته وفضله وعفوه وغفرانه، ثم بين سبب ذلك بأحسن بيان وأرق عبارة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾، فكل ذنب مهما عظم فليس هناك ما يمنع من غفرانه، حتى الشرك بالله تعالى وهو أعظم الذنوب على الإطلاق إذا أتبعه المذنب بتوبة نصوح، فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها، والإسلام يهدم ما قبله.

ثم ختم هذه الآية اللطيفة المشعة بنور الرجاء المطلية ببلسم الطمأنينة والسكينة بذكر اسمين رقيقين من أسمائه يوافقان معنى هذه الآية، مؤكدًا ما يشتملانه من معان بـ«إن» وحصرها بـ«هو»، فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وهذا



الأسلوب في ختم الآيات القرآنية بأسماء حسنى تناسب صدر الآية مُطّرد في الكتاب العزيز كما حرر ذلك العلامة السعدي رحمه الله تعالى، في القواعد الحسان.

وقال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وقد وقف على أناسٍ جلوس: «**ألا أخبركم بخيركم من شرّكم؟**» فسكتوا. فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرّنا. قال: «**خيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شرّه، وشرّكم من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شرّه**»(١) والجزاء من جنس العمل.

وقال لبلالٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند صلاة الفجر: «**يا بلال حدّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دفّ نعليك**(٢) **بين يدي في الجنة**» قال: ما عملتُ

---

(١) الترمذي (٢٢٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) دف نعليك: أي صوت تحريك نعليك في خطواتك في الجنة. وعند مسلم: «**خشف نعليك**»، وليس في هذا استحالة، فإن الغيب المستقبل لله تعالى كالحاضر والماضي سواء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد يكون أرى رسول الله ﷺ وكشف له بعض ما في المستقبل من رؤية بلال يسير في الجنة وسماعه لدف نعليه. ولا يمتنع أن يكون رأى روحه أو أنها رؤيا منامية، أو غير ذلك. والله على كل شيء قدير.

قال ابن حجر في الفتح (٣/ ٤٥) (١١٤٩): «وقال الكرماني: ظاهر الحديث أن السماع المذكور وقع في النوم؛ لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعد الموت. ويُحتمل أن يكون يقظة لأن النبي ﷺ دخلها ليلة المعراج، وأما بلال فلا يلزم من هذه القصة أنه دخلها؛ لأن قوله: «**في الجنة**» ظرف للسماع، ويكون الدف بين يديه خارجًا عنها. =







عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهّر طُهُورًا في ساعةِ ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي(١).

وفي حديث غزوة بدر قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: **«لا يُقدمنّ أحدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»**(٢)، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: **«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»** قال: يقول عمير بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: **«نعم»**، قال: بَخٍ بَخٍ(٣)، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يحملك على قولك بخ بخ»** قال: لا، والله يا

---

=

ولا يخفى بُعْد هذا الاحتمال لأن السياق مشعر بإثبات فضيلة بلال لكونه جعل السبب الذي بلغه إلى ذلك ما ذكره من ملازمته التطهر والصلاة. وقد وقع في حديث بريدة المذكور: **«يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟»** وهذا ظاهر في كونه رآه داخل الجنة، ويؤيد كونه في المنام حديث جابر مرفوعًا: **«رأيتني دخلت الجنة فسمعت خشفة فقيل هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية فقيل هذا لعمر»** ولا يلزم من ذلك دخول بلال الجنة قبل النبي ﷺ لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال». اهـ. باختصار.

(١) البخاري (١١٤٩)، الفتح (٣/ ١١٤٩).

(٢) أي متقدمًا عليه في ذلك الشيء، وهذا من حسن سياسته في الحرب وقوّة حزمه وشجاعته عليه الصلاة والسلام.

(٣) بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. وتنطق بالسكون وبالجر وبالتنوين.



رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمراتٍ من قرنِهِ[(١)] فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجِدُكَ؟**» قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**أربعون خَصْلةً أعلاهُنّ منيحةُ العنز، ما من عاملٍ يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»[(٤)]. وتأمل ربط الرجاء بالتصديق.

وقال ﷺ في حديث من أعظم أحاديث الرجاء، فمن قرأه وسمعه هبت نسائم الفرح على فؤاده: «**قال الله: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٥)]. وتأمل شؤم الشرك، وبركة

(١) القَرَن: جُعبة النّشّاب.

(٢) مسلم (١٩٠١).

(٣) الترمذي (٩٨٣) وقال: حسن غريب. وجوّد النووي إسناده.

(٤) البخاري (٢٦٣١)، الفتح (٥/ ٢٦٣١).

(٥) الترمذي (٣٥٤٠) وحسنه. وللحديث شواهد عن أبي ذر وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.



التوحيد. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، وكل سيئة تكتب له بمثلها**»(١).

وتأمل كيف أطلق الحسنات فلم يقيدها بالصدقة، فلله الحمد كله. وتأمل أهمية إحسان الإسلام(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوامّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطِفُ الوحشُ(٣) على ولدها. وأخّرَ تسعًا وتسعين رحمة يرحمُ بها عباده يوم القيامة**»(٤).

---

(١) متفق عليه. البخاري، الفتح (١/ ٤٢)، مسلم (١٢٩).

(٢) وللإحسان كتاب مستقل إن شاء الله.

(٣) الوحش: كل ما لم يُستأنس من الحيوان.

(٤) متفق عليه. البخاري، الفتح (١٠/ ٦٠٠٠)، مسلم (٢٧٥٢) واللفظ له. وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما يضاف إلى الله تعالى في معرض كلامه عن حديث «**الريح من روح الله**» قال: أي من الرُّوح التي خلقها الله، فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف. إذ كل ما يضاف إلى الله إن كان عينًا قائمة بنفسها؛ فهو ملك له، وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] وهو جبريل، وقال عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

والثاني: كقولنا: علم الله، وكلام الله، وقدرة الله، وحياة الله، وأمر الله. لكن قد =



وقال ﷺ: «**تلقَّت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ قال: لا. قالوا: تذكّرْ. قال: كنتُ أُداين الناس، فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر، ويتجوّزوا عن المُوسِر. قال: قال الله عز وجل: تجوّزوا عنه**»(١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَدِمَ على النبي ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأة من السبي تحَلَّب ثديُها تسعى(٢)، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: «**للَّهُ أرحم بعبده من هذه بولدها**»(٣)، فلا إله إلا الله

=

يعبّر بلفظ المصدر عن المفعول به، فيُسمَّى المعلومُ عِلْمًا، والمقدور قدرة، والمأمور أمرًا، والمخلوق بالكلمة كلمة، فيكون ذلك مخلوقًا، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ١٧١].

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده**»، ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي**» كما قال للنار: «**أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**» مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩١) باختصار يسير.

(١) متفق عليه، البخاري، الفتح (٤/ ٢٠٧٧)، مسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

(٢) أي سال ثديها بالحليب إشفاقًا وحنانًا.

(٣) متفق عليه، البخاري، الفتح (١٠/ ٥٩٩٩) واللفظ له، مسلم (٢٧٥٤).



ما أعظم رحمة الله! وقد اشتق من الرحمة اسمين رقيقين من أسمائه: الرحمن الرحيم، ووصف نفسه بأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه قد كتب على نفسه الرحمة، فهل تُرجى الرحمة من سواه؟!

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت ردف[١] النبي ﷺ على حمار يقال له: عُفَيْرٌ، فقال: «**يا معاذ، هل تدري حَقَّ الله على عباده، وما حقُّ العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذّب من لا يشرك به شيئًا**» فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشرّ الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»[٢].

«قال ابن رجب: قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا علىٰ أحاديث الرخص لذلك فلا تشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها. وقال: وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهادًا في العمل، وخشية لله عز وجل، فأما من لم يبلغ منزلته فلا يأمن أن يقصر، اتكالاً علىٰ ظاهر الخبر»[٣].

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره أخبارًا في الرجاء: «فهذه هي الأسباب التي بها يُجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئًا من ذلك، بل يسمعون ما سنورده في باب الخوف، فإن

---

(١) الردف والرديف: الراكب خلف راكب الدابة.

(٢) متفق عليه. البخاري، الفتح (٦/ ٢٨٥٦) واللفظ له، مسلم (٣٠).

(٣) أعمال القلوب للمنجد (٨٨).

أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف، كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام. وأما ضد ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا»(١).

قلت: قَصَدَ أبو حامد رَحِمَهُ اللَّهُ بتلك المبالغة حميتهم من الركون إلى الدنيا، من باب أن تسمع من يخوّفك حتى تأمن خير لك من أن تسمع من يؤمنك حتى تخاف. ولا شك أن التوسط أولى، نعم تصبّ عليهم أخبار الوعيد والتهديد والزجر ولكن لا يحرمون من روح الرجاء ومتنفسه حتى لا يهلكوا في الجهة الأخرى، والقرآن الكريم قد أتى بالأمرين، فالحكمة تقتضي الزيادة من أخبار الوعيد لمن ظهر من حالهم الأمن من مكر الله، مع ذكر شيء من أخبار الوعد، والعكس صحيح بالنسبة لمن ظهر من حاله القنوط واليأس. أما مع الاعتدال فبالأمرين جميعًا لأنهما كجناحي الطائر، فبعضهم قال باستوائهما وآخرون قالوا بتغليب الخوف حال الصحة والأمن وتغليب الرجاء حال الإقبال على الآخرة، وهذا أظهر وأنصح.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»(٢). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى**

---

(١) الإحياء (٢/ ١٤٤٥).

(٢) متفق عليه. البخاري، الفتح (٦/ ٣١٩٤) واللفظ له، مسلم (٢٧٥١).



**بها عبدٌ غير شاكّ فيحتجب عن الجنة**»[١]. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة؛ ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد**»[٢].

فانظر إلى التوازن بين الرجاء والخوف، فالرجاء حاد يحدو بالمؤمن ويشوّقه، والخوف سوط وزجر حازم يدفعه للأمن والسعادة، أما المحبة فتؤنسه وتغذيه، حتى يصل لبلاد أشواقه وبر أمانه وديار أحبابه، فالرجاء لوحده مفسد، والخوف لوحده كذلك، لكن اجتماعهما يوازن المسير، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وما يذكّر إلا أولو الألباب.

وعن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إيّاها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم**» فقال رجل من القوم: إذن نكثر. قال: «**الله أكثر**»[٣]، فماذا بقي أخا الإيمان؟! فمهما ملأت رأسك من أُمنيات فالله أكثر، فسل تعطه.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة. هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي وُلد فيها**» قالوا: يا رسول الله، أفلا نُنبِّئ الناس بذلك؟

---

(١) مسلم (٢٧).

(٢) مسلم (٢٧٥٥).

(٣) الترمذي (٣٥٧٣) وقال: حسن صحيح، وصححه محقق جامع الأصول.

قال: «**إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كُلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفَجَّر أنهارُ الجنة**»(١)، وهذا حديث عظيم جليل القدر نفيس المعاني، فلا تشبع النفس من تذكره وإمراره على القلب، واللهج بما فيه من لطائف وكرم وعلوم ومواهب مما تضيق عن بيانه الطروس وتعجز عن إيفائه النفوس.

وهذا الحق الذي جعله الله على نفسه المقدسة هو حق تفضّل وإنعام وإكرام. وتأمل كيف رفع رسول الله همّة الأمة حين سأله الصحابة عن إبلاغ هذه البشارة، فأخذ بقلوبهم إلى السماء ووجّههم إلى أعظم منزلة في جنات النعيم وهي الفردوس الأعلى، ولا أعلم في السنة ما يرفع الهمة مثل هذا الحديث العظيم الجليل. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة**» يدل على أن أعلى الجنة مقبّبٌ، أي مثل القبّة المقوّسة، فالأوسط لا يكون أعلى إلا مع استدارة الشكل، بخلاف المثلث والمربع ونحوهما من الأشكال فإنه لا يكون أعلاه وأوسطه(٢).

---

(١) البخاري، الفتح (١٣/ ٧٤٢٣).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (٢/ ٢١٣). قلت: قد يكون رأس المثلث والمخروطي وسط ولكن لا يصح أن يقال له سقف. وفي موضع آخر قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، =



=

وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]. قال ابن عباس: في فَلْكَةٍ مثل فَلْكَةِ المِغْزَلِ، وهكذا هو في لسان العرب، الفلك: الشيء المستدير، ومنه يُقال: تفلّك ثديُ الجارية، إذا استدار. قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] والتكوير هو التدوير. ومنه قيل: كَارَ العمامة وكَوَّرها إذا أدارها. ومنه قيل للكُرَةِ: كُرَةٌ، وهي الجسم المستدير. ولهذا يقال: الأفلاك كروية الشكل؛ لأن أصل الكُرَة كورة، تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفًا، وكورت الكارَةَ إذا دوّرتها، ومنه الحديث: «**إن الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة كأنهما ثوران في نار جهنم**»، وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥] مثل حُسْبَان الرَّحَا، وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] وهذا إنما يكون فيما يستدير من أشكال الأجسام، دون المُضلَّعات من المثلّث أو المربع أو غيرهما فإنه يتفاوت؛ لأن زواياه مخالفة لقوائمه، والجسم المستدير متشابه الجوانب والنواحي، ليس بعضه مخالفًا لبعض.

وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال: «**ويحك، إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إن شأنه أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا**» . وقال بيده مثل القُبَّة ـ «**وإنه ليئطّ به أطيطَ الرحل الجديد براكبه**». رواه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن**» فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة المستديرة، فأما المربع ونحوه فليس أوسطه أعلاه، بل متساوٍ.

وأما الإجماع فقد قال إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة. وقال ابن

=

=

المُنادي: لا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين، أحدهما في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب. قال: ويدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق، تقع قليلاً على ترتيب واحد في حركاتها ومقادير أرجائها إلى أن تتوسط السماء ثم تنحدر على ذلك الترتيب، كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورًا واحدًا. قال: وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة. قال: فكُرَةُ الأرض مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الدائرة، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يُرى من جميع نواحي السماء على قدر واحد؛ فيدل ذلك على بُعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء .

وقد يظن بعض الناس أن ما جاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وأن الله على العرش، مع ما دلّت عليه من أن الأفلاك مستديرة متناقض أو مقتضي أن يكون الله تحت بعض خلقه ـ كما احتجت بذلك الجهمية ـ وهذا من غلطهم في تصوّر الأمر. ومن عَلِمَ أن الأفلاك مستديرة، وأن المحيط الذي هو السقف هو أعلى عليين، وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه وهو قعْر الأرض هو سجّين وأسفل سافلين، عَلِمَ من مقابلة الله بين أعلى علّيين وبين سجّين مع أن المقابلة إنما تكون في الظاهر بين العلوّ والسُّفْل، أو بين السعة والضيق، وذلك لأن العلو مستلزم للسعة، والضيق مستلزمٌ للسفول، وعلم أن السماء فوق الأرض مطلقًا لا يتصوّر أن تكون تحتها قط وإن كانت مستديرة محيطة، وكذلك كلّما علا؛ كان أرفع وأسفل.

وعَلِمَ أن الجهة قسمان: قسم ذاتي أو هو العلو والسفول فقط. وقسم إضافي: وهو ما يُنسب إلى الحيوان بحسب حركته؛ فما أمامه فيقال له: أمام، وما خلفه يقال له: خلف، وما عن يمينه يقال له: اليمين، وما عن يسرته يقال له: اليسار، وما فوق
=



=
رأسه يقال له: فوق، وما تحت قدميه يقال له: تحت. وذلك أمر إضافي، أرأيت لو أن رجلاً علّق رجليه إلى السماء ورأسُه إلى الأرض، أليست السماء فوقه وإن قابلها برجليه؟! وكذلك النملة أو غيرها لو مشى تحت السقف مقابلاً له برجليه، وظهرُه إلى الأرض؛ لكان العوّ محاذيًا لرجليه وإن كان فوقه، وأسفلُ سافلين ينتهي إلى جوف الأرض والكواكب التي في السماء، وإن كان بعضها محاذيًا لرءوسنا وبعضُها في النصف الآخر من الفلك؛ فليس شيء منها تحت شيء، بل كلها فوقنا في السماء.

ولما كان الإنسان إذا تصوّر هذا يسبق إلى وهمه السفل الإضافي كما احتج به الجهمي الذي أنكر علو الله على عرشه، وخيّل على من لا يدري أن من قال: إن الله فوق العرش، فقد جعله تحت نصف المخلوقات، أو جعله فَلَكًا آخر. تعالى الله عما يقول الجاهل. فمن خشيّ أنه لازم لأهل الإسلام من الأمور التي لا تليق بالله، ولا هي لازمة، بل هذا يصدّق الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث الحسن عن أبي هريرة ورواه الترمذي من حديث الإدلاء، فإن الحديث يدل على أن الله فوق العرش، ويدلّ على إحاطة العرش كونه سقف المخلوقات. ومن تأوّله على قوله هبط على علم الله كما فعل الترمذي؛ لم يدر كيف الأمر، ولكن لمّا كان من أهل السنة - أي الترمذي - أن الله فوق العرش، ولم يعرف صورة المخلوقات، وخشي أن يتأوله الجهمي أنه مختلط بالخلق قال: هكذا، وإلا فقول رسول الله ﷺ كُلّه حقٌّ، يُصدّق بعضه بعضًا.

وما عُلِمَ بالمعقول من العلوم الصحيحة؛ يُصدُّق ما جاء به الرسول ويشهدُ له فنقول: إذا تبيّن أنا نعرف ما قد عُرف من استدارة الأفلاك: عُلم أن المنكر له مخالف لجميع الأدلة، لكن المتوقف في ذلك قبل البيان فَعَلَ الواجب، وكذلك من لم يزل يستفيد ذلك من جهة لا يثق بها. فإن النبي ﷺ قال: «**إذا حدّثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم**» مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٩٨) باختصار يسير.
=

وتأمل نصح الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وفرحهم للناس وإحسانهم لهم، وتأمل عظيم فضلية الجهاد في سبيل الله، وأن الله تعالى قد أعدّ لهم في الجنة مئة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وتأمل كيف ذكر شرطها وهو الجهاد ولم يشترط الشهادة، ثم تذكر أنواع الجهاد ومقاماته، وأعْظِم بربك الرجاء وحسن الظن، وليكن لك في الجهاد مقام لتغنم المنازل العالية والدرجات السامية، وتدبّر كيف أرشدنا نبينا الذي وصفه ربه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم؛ أن نُعلي الهمَّة في السؤال، فنسأل الكريم من واسع فضله، ونخصّ الفردوس وهي منازل سادة المؤمنين من السابقين المقربين، فليست أعمالنا التي تبلغنا ولكن رحمة الله وفضله، اللّهم إنا نسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، يا منان، يا عليم، يا حليم، يا عليّ، يا عظيم، يا رب العالمين،

---

=

وهذا الكلام المتين قد حوى منهجية علمية منطقية حقيقة بالتحليل والدراسة والنشر، وهذا هو التجديد في العلوم حقًّا، لا ما يزعمه أهل التهوّك أو التقليد، فللعقل والتأمل والتحليل والتجريب حظه الوافر غير المنقوص، لكنه محوط مقيد بالشرع، فما خالف صحيح الشرع وصريحه فقد علمنا ببطلانه، وكُفينا جهد تتبعه ودراسته، وما أيده الشرع وشهد له علمنا بصحته وصوابه، وما سكت عنه انطلقنا فيه على ضوء كليات الشريعة ومحكمات الوحي، وهذا مضطرد في كل العلوم على اختلاف الفنون.

وانظر في هذا الموضوع: الرسالة العرشية لشيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ، فقد أبهر علماء الفلك ما فيها من اتساق وعظمة وطمأنينة وقوّة حجاج.






نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، وباسمك الأعظم الذي إذا سُئلت به أعطيت، وإذا دُعيت به أجبت، وبوجهك الأكرم: الفردوس الأعلى بلا حساب ولا عذاب، ووالدينا، ووالديهم وأهلينا وذرارينا وأقاربنا ومشايخنا، إله الحق آمين آمين آمين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»**(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما ترضون أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة؟»** قال: فكبّرْنا، ثم قال: **«أما ترضون أن تكونوا ثُلُث أهل الجنة؟»** قال: فكبَّرْنا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا شطر(٢) أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك: ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»**(٣).

قال ابن القيم بعد سياقه لهذا الحديث: «وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة عشرون ومئة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفًّا»**(٤)

---

(١) مسلم (٢٧٤٩).

(٢) الشطر: يراد به النِصْفُ وهو المقصود هنا، ويُراد به الجهة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٣) متفق عليه. البخاري، الفتح (١١/ ٦٥٢٨)، مسلم (٢٢١) واللفظ له.

(٤) أحمد (١٣٠٦١)، والترمذي وحسنه (٢٥٤٦)، والدارمي (٢٨٣٥)، وابن حبان (٧٤٥٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم. وصححه الألباني في =



رواه الإمام أحمد والترمذي وإسناده على شرط الصحيح. وعند الطبراني بسنده عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩،٤٠] قال رسول الله ﷺ: «**أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة**»(١). ثم ذكر أحاديث تشهد للثلثين وتعضدها، ثم قال: وهذه الأحاديث قد تعدّدت طرقها، واختلفت مخارجها، وصحّ سند بعضها، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر؛ لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدسًا آخر»(٢).

قلت: ويعضد ذلك الكثرة العددية لأتباع نبينا ﷺ، فلا نعلم أن نبيًّا قد قارب أتباعه هذه الملايين التي لا تحصى على مرّ القرون. وفي الطبراني(٣) من حديث معاذ وأبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**أتاني آتٍ من ربي فخيرني بين أن تكون أمتي شطر أهل الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة**» وفيه: «**إن شفاعتي لمن لا يشرك بالله شيئًا**». فالحمد لله أن جعلنا من أتباعه، ونسأله سبحانه أن يوفقنا ويهدينا سبلنا ويحسن ختامنا إنه سميع قريب مجيب.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ

---

= المشكاة (٥٦٤٤).

(١) حديث شطر أهل الجنة متفق عليه من حديث أبي سعيد.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم (٩٦).

(٣) المعجم الكبير (١٤٨٤٥) (١٨/ ٧٤)، ومصنف عبد الرزاق (٢٠٨٦٥)، والترمذي (٢٤٤١) وابن ماجه (٤٣١٧) وصححه الألباني والأرنؤوط.



يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨]: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرّجون يمنة ولا يسرة، وقوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾ أي: لا عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقًّا وصدقًا، لجميع الخلق، يسمعهم جميعهم، ويصيح بهم أجمعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن، ﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨] أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سرًّا بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارًا لحكم الرحمن فيهم، وتعنو وجوههم، أي: تذل وتخضع، فترى في ذلك الموقف العظيم الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] فحينئذ يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان.

والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه، فيختص المؤمنون به وبرسله بالرحمة، فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟



قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصًا في فصل القيامة، فإن قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩] مع قوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] مع قوله ﷺ: «**إن لله مئة رحمة أنزل لعباده رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»(١)، أي من الرحمة المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد، مع قوله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها**»(٢) فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجلّ من غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين»(٣).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في مرض موته:

فلـمّا قَسَـا قلبـي وضـاقت مـذاهبي ... جعلـتُ الرَّجـا منّـي لعفـوك سُـلَّما
تعـاظمني ذنبـي فلـمّا قرنتُـهُ ... بعفـوكَ ربّي كـان عفـوُكَ أعظَـما

---

(١) مسلم (٦٩٠٨).
(٢) البخاري (٥٦٥٣) ومسلم (٦٩١٢).
(٣) تفسير السعدي (٥١٣).







وقال الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أحب أن يُجعل حسابي إلى أبويّ؛ لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما.

وقال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا بدت عينٌ من الكرم، ألحقت المسيئين بالمحسنين.

وقال الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا أمسى فراشي من ترابٍ ... وصرتُ مُجاورَ الربِّ الرحيم

فهنّوني أحبائي وقولوا ... لك البُشرى قدِمْتَ على كريمِ



# ثمرات الرجاء

بما أن الرجاء في الذروة من أعمال القلب فلا عجب أن تكون ثمراته بتلك المنزلة، فمنها:

١. إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

٢. أن الله تعالى يحب من عباده أن يؤمّلوه ويرجوه ويسألوه من فضله ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ لأنه الملك الحقّ الجواد، أجودُ من سُئل، وأوسع من أعطى. وأحبُّ ما إلى الجواد أن يُرجى ويؤمَّل ويُسأل. وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1]، والسائل راجٍ وطالب، فمن لم يرجُ الله يغضب عليه. وهذه فائدة أخرى من فوائد الرجاء، وهي الابتعاد من غضب الله.

٣. أن الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويُزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

٤. أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، ويلقيه في مدينتها، فإنه كلما اشتد رجاؤه، وحصل له ما يرجو؛ ازداد حبًّا لله تعالى، وشكرًا له، ورضًا به وعنه.

(١) الترمذي في الدعوات، باب (٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٦).



٥ـ أنه يبعثه على أعلى المقامات؛ وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوّه؛ كان أدعى لشكره.

٦ـ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها، فإن الراجي متعلّق بأسماء الله الحسنى، متعبِّدٌ بها، داعٍ بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا ينبغي أن يُعطّل دعاؤه بأسمائه الحسنى التي هي أعظم ما يدعو بها الداعي.

٧ـ أن المحبة لا تنفكّ عن الرجاء، فكل واحد منهما يَمُدُّ الآخر ويقوّيه.

٨ـ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، ولأجل هذا حَسُنَ وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف.

٩ـ أن العبد إذا تعلّق قلبه برجاء ربه، فأعطاه ما رجاه؛ كان ذلك ألطف موقعًا، وأحلى عند العبد، وأبلغ في حصول ما لم يرجه. وهذا أحد الأسباب والحِكَم في جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف في هذه الدار، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم في القيامة بحصول مرجوّهم واندفاع مَخُوفهم.

١٠ـ أن الله سبحانه وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذل والانكسار، والتوكل والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضا والإنابة وغيرها. ولهذا قدّر عليه الذنب وابتلاه به لتكمل مراتب عبوديته بالتوبة التي هي من أحب عبوديات عبده إليه، فكذلك تكميلها بالرجاء والخوف.

١١ـ أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله تعالى ما يوجب






تعلّق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته، وتنقّل القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم وصفة، فإذا غاب عن ذلك؛ فاته حظّه ونصيبه من معاني هذه الأسماء والصفات(١).

١٢ـ أنه يورث المواظبة على الطاعات كيفما تقلّبت الأحوال.

---

(١) المدارج (٢/ ٢٤٠ـ٢٤٣) بتصرف يسير.



# درجات الرجاء

للرجاء مراتب متفاوتة، وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رجاء يبعث العامل على الاجتهاد في العبادة، بل يولّد عنده اللذة بالعبادة ولو كانت شاقة وصعبة فيتلذّذ بها ويترك المناهي، ومن عرف قدر المطلوب؛ هان عليه ما يبذل فيه، ومن رجا الأرباح العظيمة في سفره، هانت عليه مشقّة السفر، ألا ترى أن التجار يكابدون ويسهرون ويسافرون ويغتربون رجاء الربح الذي يأملونه، وكذلك المحب الصادق الذي يسعى في مرضاة مولاه، تهون عليه مشقة صلاة الفجر، ومشقة الوضوء في البرد، ومشقة الجهاد، ومشقة الحج والعمرة، ومشقة الإنفاق، ومشقة طلب العلم وتكرار الحفظ، ومشقة مكابدة قيام الليل، ومشقة جوع الصيام، بل تنقلب عنده إلى اللذّة!

فالدرجات العملية في العبادة: أولاً مشقة، ومن ثمّ لذة. قال ثابت البُناني رحمه الله: كابدتُ قيام الليل عشرين سنة، ثم تنعّمت به عشرين سنة.

فإذا قوي تعلّق الرجاء بالعوض؛ سمحت الطباع بترك العادات وترك الراحة، فكيف للإنسان أن يعوّد نفسه على الطاعة والعبادة؟ إن من طرق تحصيل ذلك: أن يعرّفها الأجر، فإذا عرفت النفس الأجر والثواب وقبله القرب من مرضاة رب العالمين؛ سمحت حينئذ بالتخلي عن الراحة والكسل والدعة والشح، والإنسان مفطور على ألا يترك محبوبًا إلا لمحبوب أعظم منه، وهو رضا الرب، والجنة. وكذلك يصبر على الألم النفسي والجسدي إذا تلبّس الرضا



بالقضاء، فيصبّره أن يرجو ثواب الصبر فيصبح المر حلوًا، والعلقم عسلاً.

الدرجة الثانية: المجاهدون لأنفسهم بترك مألوفاتها واستبدالها بخير منها، فرجاؤهم أن يبلغوا مقصودهم بالهمة، وهذا يلزم له العلم وهو الوقوف على الأحكام الدينية؛ لأن رجاءهم متعلق بحصول ذلك الهم، ولابد من علم وبذل الجهد بالمعرفة والتعلّم وأخذ النفس بالوقوف عند الحدود طلبًا وقصدًا.

الدرجة الثالثة: رجاء أرباب القلوب لقاء ربهم وسيدهم وإلههم، والاشتياق إليه سبحانه وتعالى، وهذا هو الذي يمكن أن يزهّد الإنسان في الدنيا تمامًا، وهو أعلى الأنواع، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

وهذا الرجاء هو رجاء اللقيا، وهو محض الإيمان وزبدته، وإليه تشخص أبصار العابدين المجتهدين، وهو الذي يسلّيهم، ولذلك ضرب الله لهم أجلاً تسكن إليه نفوسهم.

ونفوس أصحاب هذه الدرجة العالية مضطربة حتى يلقوا الله تعالى؛ لأنهم في اشتياق إليه، ويريدون لقاءه، فهم قد أعدّوا العدّة واجتهدوا، ويتطلعون للقاء، فلسان حالهم: متى تنتهي الدنيا حتى يلقوا الله؟! ولقاء الله تبارك وتعالى أعظم من كل نعيم الجنة. وتأمل قصة عمير بن الحمام حينما ألقى بتمراته متطاولاً الحياة التي سيقضيها في أكلها!



وشتان بين حال كثير من الناس الآن وبين الرعيل الأول من السلف الصالح في هذه الأمور! فهذه المعاني الجليلة لا نراها في كثير من الناس، ولا يحوم طائر فكرهم عليها إذ غرقوا في خضم دنياهم ولجة أعمالهم لجمع حطامها، مع أنها أشياء كانت قائمة في نفوس الصحابة، ومذكورة في الكتاب والسنة[١].

ومن جميل ما قيل في الرجاء قول يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه؛ لم يَبْتَلِ بالذنب أكرم الناس عليه. يشير إلى أنه ابتلى كثيرًا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو، فإنه عفوٌّ يحب العفو.

ولولا طمع المذنبين في العفو لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه، وكان بعض المتقدمين يقول في دعائه: اللّهم إن ذنوبي قد عظُمت فجلّت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني. وقال آخر: جُرمي عظيم، وعفوك كبير، فاجمع بين جُرمي وعفوك يا كريم. وقال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو، إن كانت الرحمة للمحسنين؛ فالمسيء لا ييأس منها، وإن تكن المغفرة مكتوبة للمتقين؛ فالظالم لنفسه غير محجوب عنها.

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرَّجا منّي لبابك سُلّما
تعاظَمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوُك أعظما
ألست الذي غذّيتني وكفلتني ... وما زلتَ منّانًا عليّ ومُنعِما

(١) أعمال القلوب، المنجد (٧٩-٨٢) بتصرف يسير.



عسى من له الإحسان يغفر زلّتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدّما

فلله درّ العارف الندب إنه ... تَسِحُّ لفرط الوجد أجفانُه دَمَا

يُقيم إذا ما الليلُ مدّ ظلامَهُ ... على نفسه من شدّة الخوف مأتما

فصيحًا إذا ما كان في ذكر ربّه ... وفيما سواهُ في الورى كان أعجما

ويذكر أيامًا مضت في شبابه ... وما كان فيها بالجهالة أجرما

يقولُ إلهي أنت سُؤلي وبُغيتي ... كفى بك للراجين سُؤلاً ومغنمًا(١)

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «يا عاصيًا بالأمس، أين الالتذاذ؟ يا مُطالَبًا بالجُرم، أين المعاذ؟ يا مُتمسكًا بالدنيا وحبلُها جُذَاذ(٢)! تخلّص من أَسْرِها قبل أن يعزّ الإنقاذ، وقبل أن تجري دموع الأسى بين وبْلٍ ورذاذ، تذكّر قبرك وما فيه من ضمةٍ لو نجا منها أحدٌ لنجا سعد بن معاذ، ألا يلينُ القلب؟ أصخرٌ أم فولاذ؟ تدّعي العجز عن الطاعة وفي المعاصي أستاذ!

يا مُستَلَبًا عن أهله وماله، يا خاليًا في القبر بأعماله، ليته خلّاك ما منه تخلّيت، ليته ولّى عنك إثم ما عنه تولّيت. وا أسفًا من حالةٍ حيلتها ليت!

إذا خضّر الربيع ناح الهزارُ، ونَدَبَ القُمري وأنت تعتقده غِناء، إنما هو بكاء على انتظار التكوير، ولا يغرنّك صفو العيش، فالرسوب في أسفل الكأس! من لم يسمع كلام الصامت، ولم يفهم عبارة الجامد(٣) فليس بفطن.

---

(١) عقود اللؤلؤ والمرجان، آل عبد المحسن (٤٦٢-٤٦٣).

(٢) جذاذ: مقطوع.

(٣) الصامت من المال: الذهب والفضة، ولعله قصد من الذهب الذهاب، ومن الفضة =



قال أحمد بن أبي الحواري: رأيت شابًّا قد انحدر عن مقبرة، فقلت: من أين؟ فقال: مِنْ هذه القافلة النازلة! قلت: وإلى أين؟ قال: أتزوّد لألحقها. قلت: فأي شيء قالوا لك؟ وأي شيء قلت لهم؟ قال: قلتُ: متى ترحلون؟ فقالوا: حتى تَقْدُمون!

وكم من عِبْرَةٍ أصبحتَ فيها     يلينُ لها الحديدُ وأنت قاسي
إلى كم والمعادُ إلى قريبٍ     تُذكِّرُ بالمَعَادِ وأنتَ ناسي

ويحك! تَلَمَّحْ عاقبتك بعين عقلك فإنها سليمة من رَمَد. يا صبيان التوبة، قد عرفتم شرور أعطان الهوى، فرحلتم طالبين ريف التقى، فحثّوا مطايا الجد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].

كُلّما شَرُفَ المطلوب؛ طال طريقه. الهرّة تحمل خمسين يومًا، والخُفُّ والحافرُ[(١)] سنة، فأما الفيل فسبع سنين[(٢)]. عمومُ الشجر يحمل في عامه، والصنوبر بعد ثلاثين سنة[(٣)]. شرفُ النسل يوجبُ القِلَّة، الشاةُ تلدُ واحدًا أو اثنين، والخنزيرة تلدُ عشرين.

---

=

الانفضاض. أما الجامد: فهو الحد بين الأرضين والدارين، إشارة إلى عالم البرزخ وسكنى القبر؛ لأنه الحد الفاصل بين دار الدنيا والأخرى. نسأل الله حسن الختام.

(١) الخف: الإبل. الحافر: الخيل.

(٢) مدة حمل أنثى الفيل سنتان أو (٢٢) شهرًا، والمؤلف رحمه الله قصد ضرب المثل والله أعلم.

(٣) المشهور أنه يثمر بعد اثنتي عشرة سنة.



بُغَــاثُ الطــيرِ أكثرهــا فراخًــا    وأُمّ الصـــقرِ مِقْـــلاةٌ نَـــزَورُ

يا هذا، ينبغي أن تكون همّتك على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته!

إنما خُلقت الداران لأجلك، أمّا الدنيا فلِتتزوّد، وأما الأخرى فلِتتوطّن، أفتراك تعرف مكانة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] أو قيمة ﴿يُحِبُّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٤] أو مرتبة «**وأكره مساءته**»[١].

يا من كان في رفقة ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦] فصار اليوم في حزب أهل النوم!

يــا ديــار الأحبــاب كيــف تغــيّرتْ    ويــا عهــدُ مــا الــذي أبلاكــا
هل أولاك الذين عهدي بهم فيك    عــلى عهـــدهم وأيـــن أولاكـــا
الـذميلَ الـذميلَ[٢] يـا ركـبُ إني    لضـــمينٌ أن لا تخيـــب سُراكـــا

يا هذا، لا تجزع من ذنب جرى، فرُبَّ زلَّةٍ أورثت تقويمًا «**لو لم تذنبوا**»[٣].

مـــن لم يـــذُقْ مـــرارة الفـــراقِ    لم يـــدرِ مـــا حـــلاوةُ التلاقـــي

ما لم يقع سهم في مقتل؛ فالعلاج سهل، انحناء القوس ركوع لا اعوجاج، كانت محبة آدم لمولاه أصليّةٌ، وتعبُّدُ إبليسَ تكلُّفًا، والعِرْقُ نَزَّاعٌ ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾

---

(١) البخاري (٢٠٧٦٩).

(٢) الذميل: ضرب من السير سريع.

(٣) مسلم (٢٧٤٩).



[الكهف: ٥٠]، وإنما يعالَجُ الرَّمِدُ لا الأكمه(١).

تأمَّلُوا خِسَّة هِمَّة إبليس إذ رضي بعد القرب من السُّدَّة بالتقاط ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الحجر: ١٨] إنه ليهجم على ساحة الصَّدر، فيأخذ في حديث الوسوسة، فيصيح به حُرّاسُ الإيمان من شُرُفات ذكر الله؛ فيرجع بلقب الخنّاس!

فضائل آدم خفيت على الملائكة يوم ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ [البقرة: ٣٣] فكيف يعرفها إبليس؟!

كُلّما غلب إبليسُ صاحبَ معصية، وجلس يَقسم في تقواه؛ صدرت عن التائب نشّابَةُ(٢) ندم، فوقعت في صدر إبليس.

كان فتحُ بن شخرف يقول: قد طال شوقي إليك؛ فعجّل قدومي عليك.

| | |
|---|---|
| تُمَدُّ بالآذان والمناخِرِ | لحاجرٍ أنَّى لها بحاجرِ(٣) |
| أرضٌ بها السائغ من ربيعها | وشوقُها المكنونُ في الضمائر |
| سارت يمينًا والغرام شامةٌ | يَاسِرْ بها يابن الحُدَاةِ ياسِرِ»(٤) |

---

(١) الرَّمِدُ: من بعينه رمد، وهو التهاب وهيجان بالعين. أما الأكمه فهو من وُلِدَ أعمى.

(٢) النشابة: السهم.

(٣) حاجر: من منازل الحاج في طريقهم. والمقصود شوق الإبل لذلك المكان، أما المصنف فقصد معنىً شريفًا ساميًا وهو شوق المؤمنين للقاء مولاهم سبحانه.

(٤) المدهش (٢/ ٥٢٠-٥٢٥) بتصرف يسير.

## وقفة تفكّر

أخرج الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله في صحيحه[١] قال: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن زيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما:

أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تُمَارُون في القمر ليلة البدر، ليس دونه حجاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فهل تُمَارُون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يُحشر الناسُ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتَّبِع، فمنهم من يتَّبعُ الشمس، ومنهم من يتّبع القمر، ومنهم من يتّبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: هذا مكانُنَا حتى يأتينا ربُّنَا، فإذا جاء ربُّنَا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنَا، فيدعوهم فيُضربُ الصراط بين ظهراني جهنّم، فأكونُ أوّل من يجوزُ من الرسل بأمته، ولا يتكلَّم يومئذ أحدٌ إلا الرسل، وكلام الرسُلِ يومئذٍ: اللّهم سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنَّم كلاليبُ مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السَّعدان؟**» قالوا: نعم.

قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلمُ قَدْر عِظَمها إلا الله، تَخْطَفُ الناسَ بأعمالهم، فمنهم من يُوبَقُ بعمله، ومنهم من يُخردلُ ثم ينجو، حتى إذا أراد**

---

(١) كتاب صفة الصلاة في باب فضل السجود (٧٧٣).

الله رحمة من أراد من أهل النار؛ أمرَ الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبدُ الله، فيُخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيَخرُجُون من النار قد امتُحِشُوا[(١)] فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة، فينبتون كما تنبتُ الحَبَّةُ في حميل السيل، ثم يَفْرُغُ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجلٌ بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة، مقبلٌ بوجهه قِبَل النار، فيقول: يا ربِّ اصرفْ وجهي عن النار، قد قَشَبَني ريحُها[(٢)] وأحرقني ذكاؤها[(٣)]. فيقول: هل عسيتَ إن فُعِلَ ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزّتك، فيُعطي الله ما يشاء من عهدٍ وميثاق، فيصرفُ الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة رأى بهجتها سَكتَ ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا ربّ قدّمني عند باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والمواثيق ألا تسأل غير الذي كنت سألتَ؟ فيقول: يا ربّ لا أكونُ أشقى خَلْقك، فيقول: فما عسيت إن أُعطيت ذلك ألا تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزّتك لا أسألُ غير ذلك، فيُعطي ربَّه ما شاء من عهدٍ وميثاق، فيقدِّمُهُ إلى باب الجنة، فإذا بَلَغ بابها، فرأى زهرتها، وما فيها من النَّضْرَةِ والسُّرور، فيسكتُ ما شاء اللهُ أن يسكُتَ، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك! أليس قد أعطيت العهد والميثاق ألا تسأل غير الذي أُعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحكُ الله

(١) امتحشوا: احترقوا واسودوا.

(٢) قشبني: سمّني وأهلكني.

(٣) ذكاؤها: لهيبها وشدة اشتعالها.

عز وجل منه، ثم يأذنُ له في دخول الجنة، فيقول: تمَنَّ، فيتمنّى حتى إذا انقطعتْ أمنيتُه قال الله عز وجل: من كذا وكذا، أقبلَ يُذكِّرُهُ ربُّهُ، حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك ذلك ومثلْهُ معه».

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله**»، قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: «**لك ذلك ومثله معه**». قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: «**ذلك لك وعشرةُ أمثاله**».





# موسوعة

# تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

1) مقدّمات في أقوال وأعمال القلوب
2) التوحيد والإخلاص
3) العبودية
4) الصدق مع الله تعالى
5) محبّةُ الله تعالى
6) الشّوقُ إلى الله تعالى
7) الأُنسُ بالله تعالى
8) الإرادة
9) العزم
10) الرّجاء
11) الرّغبة
12) التّوكّلُ على الله تعالى
13) حُسنُ الظّنّ بالله تعالى
14) الثقةُ بالله تعالى
15) الافتقارُ إلى الله تعالى
16) الاستغناءُ بالله تعالى
17) التعلُّقُ بالله تعالى
18) الالتجاءُ إلى الله تعالى
19) الاعتصامُ بالله تعالى
20) سلامةُ الصّدر
21) العفاف
22) الصَّبر
23) الرّضا
24) ...

الصف والتنسيق والإخراج الفني
خالد محمد جاب الله
مكة المكرمة - جوال: 0502543917